طراز عمارة المكتبة في عصر الإمبراطور تراجان

عبد الله سعد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم" اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" صدق الله العظيم. إن التطور التاريخي لحياة الإنسان وتداخل المجتمعات مع بعضها البعض وترابطها، وجد الإنسان نفسه غير قادر على التفاهم مع الغير من المجتمعات الأخرى، ولذلك بذل قصارى جهده في ايجاد الوسيلة التي يستطيع عن طريقها التواصل والتفاهم مع تلك المجتمعات، ولذلك هداه التفكير إلى اختراع الكتابة التي من خلالها يستطيع أيضاً حفظ إنتاجه الفكري وتراثه الثقافي والعلمي من الضياع والاندثار؛ ولذلك فإن اختراع الكتابة والكتاب جعل هذه المجتمعات في التفكير لتحديد أماكن لحفظ هذه الكتابات،[1] وتمثلت المواد الكتابية في الترانيم الدينية، والوثائق الحكومية وهي تلك الوثائق التي تمتلكها الدولة من أجل الضرائب ورواتب الموظفين والمراسيم والقرارات.

أصل كلمة مكتبة:

تطور معني كلمة مكتبة ومدلولها واستعمالها عبر العصور حسب الأمكنة، ولم يكن هناك في أول الامر تفريق بين مكتبة ودار السجلات والوثائق وانما كان يطلق اللفظ علي المجموعة كلها دون تمييز بينهما. إن أقدم المكتبات وجدت في كل من مصر وبلاد الرافدين في زمن موغل في القدم، وبذلك إن هذين القطرين يعتبران مهد الحضارة الإنسانية، فقد وجدت فيها أولي الحضارات الإنسانية الراقية، ولأن المكتبة من مستلزمات الحضارة ودليلاً عليها فقد وجدت مع فجر الحضارة في كل من مصر وبلاد الرافدين. وقد سمي المصريين القدماء المكتبة بأسماء مختلفة كلها توحي بطبيعة المكتبة وطبيعة المواد المحفوظة فيها، وطبيعة الخدمة التي تؤديها مثل بيت الكتابات- محفوظات الأسلاف- بيت

الكتابات المقدسة، والذي ساعد علي ازدهار المكتبات في مصر هو توافر نبات البردي بكثرة، وساعد أيضاً علي ازدهار المكتبات في مصر هو تطور الكتابة المصرية وتخصص الرهبان ورجال الدين في الكتابة والتعليم. أما بالنسبة للمكتبات في بلاد الرافدين كان يطلق عليها بيت اللوحات الكبير وهذا الاسم يدل علي طبيعة المادة التي استعملت في بلاد الرافدين وهي اللوحات الطينية؛[٢] أما اليونان الذين ورثوا حضارة الشرق وطوروها ونموها، فقد اطلقوا كلمة Bibliotheca علي المكتبة أي مكان حفظ لفائف البردي ولا تزال حتي الأن مستخدمة في فرنسا وغيرها من دول العالم اللاتيني للدلاله علي المكتبة، كما استعمل الرومان كلمة أخري للدلالة علي كلمة مكتبة وهي Libri وتعتبر كلمة لاتينية ومعناها الكتاب نفسه.[٣]

مكتبة الإمبراطور تراجان بروما

المنشئ : الإمبرطور تراجان[٤]

تاريخ الإنشاء : ١١٢-١١٣م

الموقع : روما (سوق تراجان)

الوصف المعماري للمكتبة :

تميزت مكتبة تراجان ببراعة التصميم المعماري، و كانت دائماً أمام أعين الزوار نظرا لموقعها المتميز داخل سوق تراجان علي تل الكابيتول ، ولا تزال بقاياها قائمة حتي الآن، كما يُلاحظ من التخطيط أن المكتبة تكونت من حجرتين مربعتين (ح١ و ح٢ فى المسقط) متماثلتين فى التخطيط ، و يقعان فى مواجهة بعضهما البعض، احدى الحجرتين كانت للكتب اللاتينية ، و الأخرى للكتب اليونانية،[٥] يُلاحظ فى تخطيط حجرة المكتبة أنها تحتوى على ثلاثة أروقة ، اثنان منهما يحتويان على سبع أعمدة ، و الرواق الثالث يحتوى على أربعة أعمدة فقط، ويفصل بين الحجرتين رواق مربع الشكل فى منتصفه عمود تراجان، شكل (١)، ويوضح أيضاً التخطيط وجود أربع أعمدة أمام كل حجرة في مواجهة العمود.تخطيط (١)

الحجرة الكبيرة بالمكتبة :

كانت تقع هذه الحجرة في الجزء الجنوب الغربي من المكتبة، وتميزت بالمساحة الواسعة التي بلغت ٢٧.١٠ م×٢٠.١٠م أي حوالي ٥٤٤.٧ متر مربع، وكانت تتكون من طابقين وسقف الحجرة علي شكل قبو متقاطع،(٦) وكان يوجد بالجدار الخلفي للمكتبة تجويف كبير لوضع التمثال الكبير الذي كان يستخدم في تزيين المكتبة وهو ما تميزت به المكتبات الرومانية، وكان يوجد علي كلا جانبي التمثال في الطابق العلوي والسفلي نيشات (فتحات) لخزائن الكتب اثنين في كل مستوي وقد بلغ عرض هذه النيشات ١.٣٥متر ، وكان يقام أمام هذه الفتحات منصات تساعد الباحث في الوصول إليها، بجانب أنها كانت تقام عليها التماثيل التي كانت تستخدم في تزيين المكتبة.(٧) شكل (٢)،وتميزت مكتبة تراجان بواجهة الأعمدة الرائعة التي كانت تزيين مدخل المكتبة وصل عددها أربعة أعمدة وكان يوجد بين الأعمدة بوابات برونزية تغلق بها المكتبة في حالة عدم استخدامها. أما الجانب الشمالي الشرقي من المكتبة فتميز بوجود نوافذ علي جدران المكتبة التي ساعدت علي وجود إضاءة قوية داخل المكتبة طوال اليوم.(٨) وهذا يدل علي أن فن العمارة الرومانية هو فن ابتكار وإبداع.(٩)

تزيين حجرة المكتبة :

قام الأباطرة الرومان بصرف مبالغ كبيرة في زخرفة وتزيين المكتبات الرومانية، وهو ما قام به الإمبراطور تراجان في زخرفة وتزيين مكتبته عندما أمر المهندسون بالإسراف في استخدام الزينة وإقامة التماثيل داخل المكتبة، وقاموا بزخرفة ورصف أرضية الحجرة بقطع كبيرة من الجرانيت الرمادي مستطيلة الشكل من مصر وهذه القطع كانت تفصل بقطع أخري من الرخام الأصفر من شمال إفريقيا لتعطي شكلا جميلا.(١٠) وكان يتم زخرفة الجدران الخرسانية بقشرة من الرخام متعدد الألوان من آسيا الصغري ، وكانت كل نيشة (فتحات داخل الجدران) والتي وصل عددها إلي ٣٦ نيشة ، شكل (٣) و كانت تُزين بإطار من

الرخام الأبيض ويعلوها كورنيش من الرخام الأبيض، بجانب التماثيل التي كانت تغطي بنوع من الرخام اسمه (pavonazzo).[١١] وهو نوع من الرخام الأبيض، وكانت تستخدم في تزيين تيجان وقواعد الأعمدة التي كانت توضع بين النيشات لتزيين المكتبة. أما بالنسبة للتمثال الذي كان يوجد في التجويف فإنه ربما أن يكون خاص بالرجل المسئول عن (الكتب ، والبناء) داخل المكتبة.[١٢] ونستنتج من ذلك أن الرومان قاموا بإستخدام تلك المادة في تزين الجدران والأرضيات والتماثيل التي كان يتم جلبها من جبال آسيا الصغري (تركيا حالياً). ومن هنا فإن مصر لعبت دوراً هاماً في تصدير الجرانيت إلي روما لاستخدامه في الزينة والبناء أيضاً، وبجانب ولاية شمال افريقيا أيضاً التي صدرت الرخام الأصفر إلي روما وهذا يدل علي أن روما كانت تستغل ثروات الولايات التي كانت تحت سيطرتها للإستفادة منها.

ونستنتج من خلال دراسة مكتبة تراجان أنها كانت من أهم وأشهر المكتبات العامة بروما وعلي الرغم من أنها كانت من ضمن إحدي العناصر المعمارية لسوق تراجان إلا انها كان لها مبني خاص مقسم إلي حجرتين إحداهما للكتب اللاتينية والإخري للكتب اليونانية وهذا يدل علي مدي أهمية هذا العنصر المعماري (المكتبة) داخل سوق تراجان، وظلت المكتبة مفتوحة وتستقبل زوارها حتي الجزء الأول من القرن الرابع ٤٥٥م، وهذا يدل علي أن المكتبات الرومانية لم تغلق في ٣٨٠م كما يعتقد بعض العلماء.[١٣]

ملحق الصور والتخطيطات

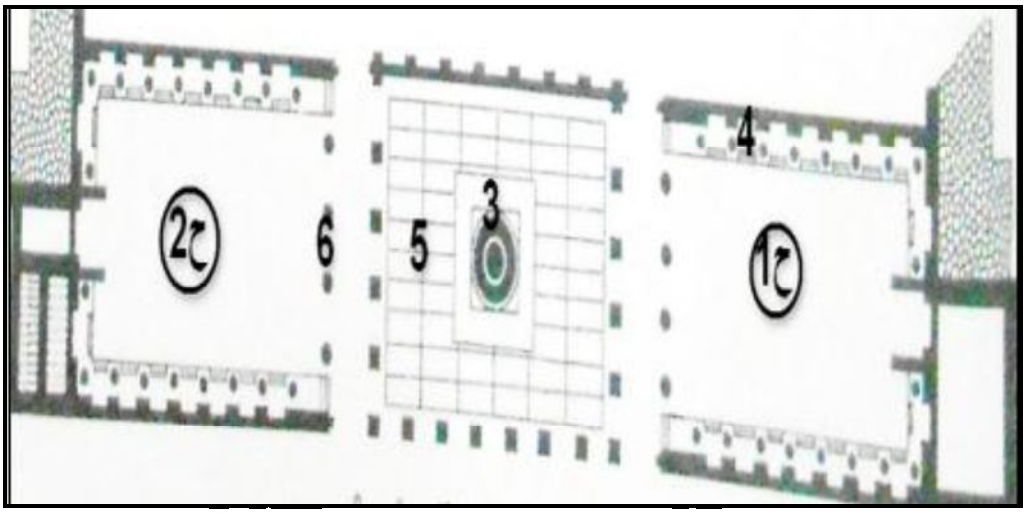

تخطيط (١) مكتبة تراجان نقلا عن : – [١٤]

ح١ وح٢ : حجرتي المكتبة

١- عمود تراجان الذي بلغ إرتفاعه ٤٤.٠٧م. [١٥]

٢- الرواق المعمد الذي يحيط بحجرات المكتبة

٣- الرواق الخارجي الذي يحيط بعمود تراجان

٤- الاعمدة الاربعة أمام كل حجرة من حجرات المكتبة

شكل (١) عمود تراجان والرواق الذي يحيط به نقلا عن:-[١٦]

شكل (٢) إعادة بناء الجزء الجنوبي الغربي لمكتبة تراجان نقلا عن :-[١٧]

شكل (٣) بقايا النيشات والمنصات داخل حجرة المكتبة نقلا عن:- [١٨]

الهوامش :

(1) Too, Y., The Idea of the Library in Ancient World, London, 2010, p.1.

(2) Worth, R., World Encyclopedia of Library and Information Services, United States, 1993, p.207.

(٣) – محمد ماهر حمادة، مدخل إلي علم المكتبات، بيروت، ١٩٨١، ص١٤-١٧.

(٤)- يعتبر الإمبراطور تراجان أول إمبراطور يتولي العرش من أصول غير رومانية، فقد كان من سكان الولايات الرومانية، وبالتحديد إسبانيا، إلا أنه كان هو الشخص المناسب للمرحلة، فقد كان رجلاً عسكرياً حازما صارما قادراً علي تحمل المسئولية، وبالتالي منحه السناتو لقب أفضل الأباطرة. واهتم بتجميل روما، فأقام فوروم جديد زينه بعمود ضخم معروف باسمه. والذي اكتشفه العلماء في أوائل عام ١٩٨٢، وعثر العلماء داخل المنتدي علي العديد من العملات الرومانية التي استخدمت في تلك الفترة. وأقام حمام أيضاً داخل الفوروم. للإستزادة إنظر: عزت زكي حامد قادوس ، تاريخ عام الفنون ، الإسكندرية ، ٢٠١٤، ص.٢٨٠-٢٨١. حسين الشيخ ، الرومان ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ ، ص١٥٨؛

A. Hanfmann, G., "A New Trajan", AJA 61/3, (1957), p.22; Packer, J.," A New Excavation in Trajan's Forum", AJA 87/2, (1983), p.165; E.Woytek, "Trajan's Restoration of the Denarius RRC 343/1b", NumChron 164, (2004), p.227.

(5) Casson, L., Libraries in the Ancient World, United States, 2001, p.85.

(٦) هيكل تسقيفي معماري مكور من الداخل ومن الناحية الإنشائية يعمل القبو كوحدة واحدة تنقل الأحمال من هيكل السقف إلي الجدران أو الأعمدة ويعتبر من أقدم وسائل التسقيف وله كفاءة ومقاومة عالية لذا تغطي به المساحات الواسعة. إنظر : هاشم عبود الموسوي ، العمارة وحلقات تطورها عبر التاريخ القديم ، عمان ، ٢٠١١ ، ص٣٢٩.

(7) Casson, L., Op-Cit., p.85.

(8) Ibid, p.86.

(٩) علي عكاشة ، اليونان والرومان ، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٣٧.

(10) Casson, L., Op-Cit., p.87.

(١١) هو نوع من الرخام الابيض وتم إستخراجه بكميات كبيرة حوالي القرن الثامن ق.م. وكان يصدر علي نطاق واسع خارج حدود آسيا الصغري بجانب إستخدامة الكثير داخل ولاية

آسيا الصغري. ولكن قام الرومان بالسيطرة علي هذه المحاجر وتم تصدير الرخام إلي روما بكميات هائلة. للإستزادة إنظر :

Pereira, D., Global Heritage Stone to wards International Recognition of Building and Ornamental Stones, London, 2015, p.140; M. Ide, J.," Comparison of Statically and Dynamically Determined Young's Modulus of Rocks", PNAS 22/2, (1936), pp. 81-92.

(12) Casson, L., Op-Cit., p.87.

(13) W. Houston, G., "A Revisionary Note on Ammianus Marcellinus 14.6.18: When Did the Public Libraries of Ancient Rome Close?" LQICP 58/3, (1988), p.263.

(14) Florescu, F., DIE TrajanssÄule Grundfragen Und Tafeln, Germany, 1969, p.20.

(15) J. E. Davies, P., "The Politics of Perpetuation: Trajan's Column and the Art of Commemoration", AJA 101/1, (1997), p.42.

(16) J. E. Davies, P., Op-Cit., p.42;

فرانسيس وي، روما وآثارها ولوحاتها القديمة، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، القاهرة،٢٠٠٨،ص٣٣.

(17) Stierlin, H., the Roman Empire from the Etruscan to the Decline of the Roman Empire, London, 2002, p.133.

(18) E. Packer, J., "Trajan's Glonous Forum", AIA 51/1, (1998), p.38.